إطلالة

واحد وعشرون عاماً على استشهاد راشيل كوري

ماذا بقي للناس في رفح؟

استشهدت الناشطة الاميركية في غزّة حيث الإبادة قائمة، وكانت قد ارسلت لامّها تقول: «ماذا بقي للناس؟ اخبريني ان كان بوسعك ان تفكّري في شيء. انا لا استطيع». اليوم لا نعرف مصائر العائلات التي عاشت راشيل بينهم. لقد اصبح جُلّ اهل غزّة محشورين في رفح

الدوحة ـ **محمد هديب**

في مسابقة للقصة القصيرة أقامتها جهة ثقافية بعد استشهاد الناشطة الأميركية راشيل كوري تحت جرّافة الاحتلال عام 2003، كانت القصة الفائزة تتصادى مع رواية الجيش. خيالاً بخيال وبالدارئ أوقع. رواية الجيش في نيسان/ إبريل من ذلك العام بعد أقل من شهر على الجريمة في 16 آذار/ مارس 2003، تحكي عن سائق الجرّافة الحربية التي عليها أن تمحو بيت عائلة في حيّ السلام، شرقي مدينة رفح.

ودفوعات جيش الاحتلال تبني السردية على ما تدعي أنه تحقيق جدي يتوخى الموضوعية، وثمة متسع للحركة وبذل الخيال لتمرير الجريمة. هناك خمس سنوات قتل الاحتلال فيها 4412 فلسطينياً، بينما في ستة شهور قتل في غزة أكثر من 31 ألفاً. وهاتان الحصيلتان تحيلان إلى نوعية الإبادة ومجالها الدموي الذي يفسح لدولة الاحتلال الادعاء بأنها تفحص وتمحص وتخرج في نهاية المطاف بأن السائق لم ير الشابة الأميركية، وهي تناشد بالسماعة على بعد عشرين متراً. كانت راشيل «تقف خلف تل من التربة وبالتالي لم تكن في مرمى رؤية سائق الجرّافة»، وعليه «توفيت نتيجة سقوط التربة والركام خلال عملية الجرف». أما القصة القصيرة فذهبت إلى ما هو أبعد. لقد جعلت من راشيل مُستعلية على مجرّد سائق يؤدي عمله، وكانت لا تراه أكثر من رجل لا يستحم. هذا ما قد تلجأ إليه مؤسسة الاحتلال ولكن عادة بخيال ضحل وغطرسة يستسهلان فرد الحقائق المفبركة أو المحرّفة قليلاً، ليخرج إمّا مريضاً نفسياً، أو مُداناً كما أدين بسخار شدمي الضابط الذي أصدر تعليمات الذبح في مجزرة كفر قاسم (1956) فوبّخته المحكمة وغرّمته قرشاً واحداً، أو أنه لم ير راشيل بسبب الغبار ووجود الشابة في المكان الخطأ.

مضت 21 سنة منذ ذلك، وكانت راشيل في المكان ذاته أقصى جنوب غزة، دون أن يتغير سوى منسوب الدماء وقد ارتفع طردياً مع منسوب الفجور، حتى إن رفح، هذا المكان الوحيد الذي لم تطله «قيامة» نتنياهو كما يشتهي ويتوعد، يظهر في الأخبار متداولاً بين الاحتلال وأميركا، كأنه شأن عائلي مافيوي؟

الأول الابن البذيء يرى أن الحرب لا يمكن وقفها بدعوى أن غالبية بشرية حشرت هنا، والثاني الشقيق العقلاني الذي يقول إن الحرب يمكن استمرارها، ولكن حاول ألا تقتل 30 ألفاً أخرين. كانت راشيل في المكان ذاته، حيث الإبادة محسوبة، بما يسمح لها في أحد إيميلاتها لأمها بالقول إنها مع رفاقها المتطوعين قد تستطيع عبور المعابر من غزة إلى الضفة الغربية لحضور اجتماع حركة التضامن العالمية مستخدمة «الامتياز الخاص كأشخاص بيض أجانب». لم تجازف، خوفاً من الاعتقال والإبعاد وبقيت في ضيافة عائلة فلسطينية في حيّ السلام. في أكثر من محل تشير لفتات راشيل بين الرسائل إلى البياض العنصري، وإلى إدراكها بأنها تشارك الفلسطينيين أحلامهم وكوابيسهم والعيش في مكانهم غير الآمن، لكن يمكنها التحرّك أوسع، يمكنها التقدم والتراجع بما هو غير متاح للفلسطيني غير الأبيض. حين تستخدم وصف «الأبيض» فإنها تعي وضعها الطبقي وتتمرد عليه. والطبقي هنا ليس هرمية اجتماعية اقتصادية في مجتمع واحد، بل هي امتيازات وحقوق مواطني دولة الاستعمارين القديم والجديد وهي تتغلغل وتسيطر وتصنع العدو وتُبرّر إبادته، فيكون نموذج هذه الشابة ضمن حركة عالمية ترفض سياسة بلدها، وحكماً ترفض ما تقترفه دولتها الوظيفية «إسرائيل».

الشابة البيضاء عاشت بين عائلات من بين أفرادها ولد تساعده في فروض اللغة الإنكليزية، وثمة تلفزيون وأولاد وبنات يندسون معها تحت بطانية واحدة، وامرأة مسنّة لا تعرف الإنكليزية، ولكن راشيل تفهمها وهي تشير إلى ثوبها الأسود وتنفخ بفمها إشارة إلى أن تدخينك يا راشيل سيجعل رئتيك بلون هذا الثوب.

الحركة المقدرة بالحسابات والتدابير والتوقعات كانت في 2003 مع الانتفاضة الثانية ممكنة، ولم تكن راشيل بحاجة لاستدعاء الهولوكوست، كما فعل المخرج جوناثان غلايزر الأسبوع الماضي وقد فاز بجائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي عن فيلم «منطقة الاهتمام». قبل أسبوعين من استشهادها أرسلت لأمّها سيندي كوري رسالة تقول «ماذا بقي للناس؟ أخبريني إن كان بوسعك أن تفكري في شيء. أنا لا أستطيع». هذه رسالة من إنسانة تشهد عمليات قتل وتجريف واعتقال وتقييد للحركة مع إمكانية أن تتنفس هواء شحيحاً داخل السجن الكبير.

بيد أن غلايزر في خطابه أمام حفل الأوسكار قال إن الاحتلال خطف المحرقة، التي اقتطف منها حكاية فيلمه. لقد جعلته محرقة غزة غير قادر على تحمل عبء التفرد بالإبادة، ومباشرة قال «اتخذنا كل الخيارات التي تواجهنا في الحاضر، كي لا نقول انظروا ماذا فعلوا حينها، بل انظروا ما نفعل الآن».

إنه (وهو وراشيل يهوديان)، بفيلمه الجديد يذهب مباشرة إلى ما لا يمكن نكرانه. إنها إبادة تطابق في جوهرها إبادة الهولوكوست، مع فوارق في المواصفات التي تحدد فصيلة الدم الجنوبي، وهذه المرّة تصوّر المذبحة في بث مباشر بتقنيات رخيصة، لم تكن متوافرة إبان الحرب العالمية الثانية. في زمن راشيل كان يمكن معاينة ترف إقامة الجنائز. من المؤكد أنها رأت شهداء محمولين على الأكتاف إلا أنها لم تحدّق في الكابوس المخيف وقد أبقظ مئات الملايين حول العالم على ما لا يحتمل من القتل الانتقامي والبكاء المتواصل، في نسخة من العار جعلت غلايزر يلقي خطابه وهو يرتجف.

اليوم لا نعرف مصائر العائلات التي عاشت راشيل بينهم. لقد أصبح جُلّ قطاع غزة محشوراً في رفح، و«المجتمع الدولي» الذي يعني هنا أميركا وميكرونيزيا وكندا وبريطانيا، صار يحرجه فقط دويّ الاحتجاجات. والتاريخ علمنا وعلّم على جلودنا ما يفيد بأن جريمة يمكن أن تقع اليوم، دعها تقع مع أعراضها الجانبية من احتجاجات، وإدانات، وشعور بالصدمة والقلق البالغ. وبعد حين سياتي مخرج أفلام وثائقية يسأل ضابطاً متقاعداً وبجانبه قطة ناعسة، فيقول: «نعم قتلتُ بقذيفة سبعة (مع هزّة رأس) ذلك مؤسف. مشهد المرأة الحبلى وجنينها خارج رحمها كابوس لاحقني طويلاً. حقاً أشعر بالأسف».

> الاحتلال وأميركا، يتداولان أمر رفح وكأنه شأن عائلي مافيوي

> نسخة من العار جعلت غلايزر يلقي خطابه وهو يرتجف

محرقة غزّة

لم تكن راشيل بحاجة للاستدعاء الهولوكوست، كما فعل المخرج جوناثان غلايزر الأسبوع الماضي وقد فاز بجائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي عن فيلم «منطقة الاهتمام». بيد أن غلايزر في خطابه أمام حفل الأوسكار (الصورة)، قال إن الاحتلال خطف المحرقة، التي اقتطف منها حكاية فيلمه. لقد جعلته محرقة غزّة يقول: «اتخذنا كلّ الخيارات التي تواجهنا في الحاضر، كي لا نقول انظروا ماذا فعلوا حينها، بل انظروا لما نفعل الآن».

راشيل كوري مُمدّدة على الأرض بعدما دهستها جرّافة الاحتلال، رفح، 16 آذار/ مارس 2003 (Getty)

قصائد

أرض ضيّقة عند نهايتها القصوى

اشحذْ هذه الأغنيات كالفأس

شارميشتا موهانتي

افعى تلتهم طائرَ هاربا

يبْرزُ الرأس أولاً، ثم الساقان الصفراوان
من فم الأفعى المحشو
وفي الأسفل رُبط القطيعُ
إلى الأشجار العتيقة
العشب الطويل يحفل بالرُّؤوث
الرعدُ يقصفُ في الهواء الرّطيب
ليس هناك مِن «أنا»
في الإفناس
تشُقُّ الجذورُ دروبها المتعرجة بين
الأوراق المتساقطة
زوعٌ بومةٍ يتهشّم
على جذع شجرة، تفقد جناحاً،
تهوي إلى حيث الأعشاب المتيبّسة
ليس هناك مِن «أنا»
في الأنفاس
الفصولُ مُحْكَمة ومتاصَلة
فماذا عليّ
أن أقول
الرعدُ يقصفُ المرّةَ تلوَ الأخرى
وما هو حقيقي يجب أن يُحصَدَ كلَّ يوم
ويُدرس ويُجرّش
يوضَع على النار
ثم يؤكَل
وما عليّ
تخيُّله
أن هذا المكان حيث ألِفْنا
بصيرتُنا قد صُنع
من فصولنا
التي تأتينا
بالمطر.

خذْنا خذنا

خذنا
نحن
بومةُ المخزن النازفة
والطائر الذي
يرقبُ الطائرَ
الذي
يقتات
كلاهما ساكنٌ
في ظلمة الليل الزجيمة
قد تفحَمتِ
المسالكُ المؤدية إلى الغابة
وامتدادُها رسمتْه
الأقدامُ التي وطأتْها
كي تنأى
كي تتيقّظَ
كي تكونَ
لا أحد.

فهدٌ يرقبُ

المدينةَ
في الليلِ حين تشكّلتِ
الطرقاتُ والببوتُ
من الضوء
يصلُ مدى رؤيته الليليةِ
طرَفَ المدينةَ كما
يُلمّح البحرُ الظليمُ الكسيرُ
هامدة
في برج الأجراس القريب
الجرس الصدئُ
المساء المكلوم
والسّكّير وراء
الستائر المزركشة بالزهر
يتوعّد أمّه
بالموت
خذنا إلى عالَمٍ
أكثر اتساعاً
أرضٍ نائية، أرضٍ
مشرقة
حيث يمكننا
أن نشهدَ
نترك الضوءَ كلّه يبلغ
منتهاه.

عندما لا يعود بالإمكان

رؤية النيران
يقطعُ أحدهم شوطاً كافياً
في السّير
الطائر الذي
يقتاتُ
من تلال ثَوْقه الجرداء
في الأعالي
ثمّة المحطة الفضائية الدولية
الأكثر بريقاً
في سماء الليل بعد
القمر
تتعقّبُ خلسةً الأرضَ
الدّوّارةَ وتقتنص
مجاهل
الكون
وفي الأسفل
ثمة مَن يُنقّي الأرضَ-
يُنقّي الأرضَ-
يحاول أن
يُنقّي الأرضَ
من الذّوق المهول
إلى كلّ شيء
ثمة مَن يحاول
أن يبدأ.

(ترجمة عن الإنكليزية: أحمد م. أحمد)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

شارميشتا موهانتي

بطاقة

Sharmistha Mohanty شاعرة وكاتبة هندية من مواليد عام 1959 في كالكوتا وتقيم اليوم في مدينة مومباي. درست اللغة الإنكليزية في جامعة كالكوتا، والكتابة الإبداعية في جامعة أيوا بالولايات المتحدة الأميركية. عملت صحافية في صحيفة التلغراف، كالكوتا. كما اشتغلت بشكل حرّ لصالح العديد من المجلات والصحف الهندية في مجال الفنون والقضايا الاجتماعية.
إلى جانب أعمالها الشعرية، تكتب السيناريو والرواية ونشرت ثلاثة أعمال نثرية هي: «الكتاب الأول»، «الحياة الجديدة»، و«خمس حركات في المديح». كما ترجمت مجموعة مختارة من روايات رابندرانات طاغور. ظهر نثرها وشعرها في العديد من المجلات بما في ذلك غرانتا، والشعر، والأدب العالمي اليوم، والقافلة.

متابعة

حُمّى إلغاءات العروض ومحاصرة الفنّانين

حيرة ألمانية من التضامن مع فلسطين

ثقافة الإلغاء تطاول كلّ ما هو فلسطيني، مهيمنةً على المشهد الثقافي في ألمانيا، وقضية الفنانة كانديس بريتز التي ضجّت بها البلاد مؤخّراً مثال بسيط

زارلاند (ألمانيا) ـ **العربي الجديد**

«بهذا المعدّل لن تبقى لألمانيا أيّ شخصية يهودية أخرى لتحظرها»، هذا ما نشرته الفنّانة اليهودية من جنوب أفريقيا والمقيمة في برلين كانديس بريتز، بعد إعلان «متحف سارلاند» في شمال ألمانيا إلغاء عرض فنّي لها كان مقرّراً أواخر العام الماضي، بعد اعتراضها على جرائم الإبادة التي تقوم بها «إسرائيل» في غزة، والعبارة هي في الأساس اقتباس من صحافية وكاتبة يهودية أخرى اسمها نعومي كلاين، وتحمل الجنسيّتين الكندية والأميركية، وقد جاء تعليقاً على فصل ومنع وسحب جوائز من كتّاب يهود آخرين، على خلفية دعمهم للشعب الفلسطيني ونقدهم لأعمال دولة الاحتلال هناك. تلفت الكاتبتان النظر لحُمّى الإلغاءات التي أصيبت بها المؤسسات الألمانية، بعد أحداث السابع من تشرين الأول/ أكتوبر، وأنها تستهدف ربّما بشيء من الخصوصية، كتّاباً وناشطين يهوداً متضامنين مع فلسطين، وذلك تماشياً مع رغبة ألمانيا في فرْض تخيّلها ليهودية الأشخاص وربطها بنمط سلوكي مُوحّد، يتمثّل في الدفاع المستميت عن «إسرائيل» وإبرازها كمعقل أخير ووحيد لليهود، ما يتسبّب في فوضى إلغاءات وقرارات مستعجلة وغير مدروسة، من مسؤولين وإداريّين داخل الدولة الألمانية.

وهذا ما كُشف جزءٌ منه بعد إعلان رئيسة «متحف سارلاند» أندريا بان، وهي المسؤولة رسمياً عن إلغاء عرض الفنانة الجنوب أفريقية، قبل أيام من استقالتها من منصبها، وذلك بعد انتشار رسائل نصية بينها وبين الفنّانة تُبيّن أن بان لم تكن المسؤولة الحقيقية عن إلغاء العرض، ولكنّها لم تستطع الوقوف في وجه القرار، رغم أنّه من صلاحياتها.

«أريد أن أؤكّد لك أنّه لا يوجد عندي أيّ دافع للمشاركة في هذا القرار الخاطئ.. ربّما يكون لهذا تبعات وخيمة، عليّ أن أحسب حسابها، كأن أعفى من كلّ مناصبي أو أخسر وظيفتي»، كما جاء في رسالة إلكترونية (في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023)، أرسلتْه رئيسة المتحف إلى الفنّانة كانديس بريتز.

هذا الضغط مارسته، حسب الرسائل، وزيرة الإعلام والثقافة في ولاية سارلاند كريستيني شتراباشرت-كليفوت من «الحزب الديمقراطي الاجتماعي»، وذلك بعد لقاء وصفته أندريا بان بالمُرعب بحضور من سمّتهم ممثّلي الوزارة مع وفد من الجالية اليهودية في المدينة، وأنهم هدّدوها بإصدار إدانة في حقّها إذا لم تمنع العرض الفنّي، مع العلم أن العرض الذي كان مقرّراً لا يتّصل بأيّ شكل بالقضية الفلسطينية، بل يناقش قضية «العمل بالجنس» في كبب تاون، عاصمة جنوب أفريقيا.

وفي رسالة لاحقة تضيف أندريا بان أن «الوزيرة لا تزال تفترض أنّ عليّ أن أوافقها الرأي، وذلك بعدما منعتني من إجراء أيّ حوار. لقد حاولتُ الاتصال بها لإخبارها أنّني لا أوافق على هذا القرار. هي تخلّتْ أنها تستطيع التحكّم بيّ».

وفي حديث لصحيفة «إس-أر» المحلّية نفت الوزيرة هذه الاتهامات، وقالت إنها لم تحاول تقييد تواصل إدارة المتحف مع وسائل الإعلام، بينما لم تصدر بعد عن رئيسة المتحف أندريا بان أيّ تصريحات بخصوص الرسائل التي تداولها الإعلام.

وقد اعتبر سياسيّون من حزبَي «الاتحاد الديمقراطي المسيحي» و«الخضر» الحادثة بأنها «فضيحة من الدرجة الأولى»، وقد طالبوا بإجراء تحقيق حول ملابساتها، خصوصاً بعد الضجّة التي أحدثت حولها ومن أوساط دولية، لا تخفي مخاوفها من الخروقات الفادحة في الديمقراطية الألمانية.

فالنخبة السياسية في ألمانيا فرضت بطريقة غير مباشرة وعلى مدى عقود على من تبقّى فيها، أو وفد إليها من يهود، تبنّي أن ألمانيا قد قامت بواجبها على أتمّ وجه لغسل ماضيها، وذلك بدعمها المطلق لدولة الاحتلال، لأن هذا في ظنهم يُعفي ألمانيا الحالية من أي تبعات لتاريخها تجاه اليهود، وينفي بشكل قاطع ارتباط أيّ مظهر من مظاهر الحياة في الوقت الحالي داخل ألمانيا بما كانت عليه أثناء فترة حكم النازية، كأن هذه الفترة بكل تبعاتها وتغلغلاتها قد فُنيت تماماً وانجلت من المجتمع والسياسة.

هذه النظرة غير المنطقية ينفيها من جهة صعود الأحزاب اليمينية وهي بلا شك امتداد للأحزاب والأفكار النازية، ومن جهة أخرى طريقة تعامل الدولة الألمانية مع كل الأصوات المناصرة للشعب الفلسطيني أو المحتجة على الإبادة الجارية الآن، والتي تُبرز فاشية جديدة تتسلق شيئاً فشيئاً سلّم هذا النظام، في ألمانيا الجديدة هذه.

> مخيال الماني عن اليهود لا يستطيع أن يتصوّر تضامنهم مع فلسطين

الشرطة الألمانية تحاصر متضامنين مع قضية فلسطين، برلين، 9 آذار/ مارس 2024 (Getty)

فعاليات

حتى نهاية الشهر الجاري، تتواصل في «دار الثقافة» بمدينة المحمدية التونسية فعاليات الدورة الثالثة من **مهرجان ليالي المحمدية** التي انطلقت الأحد الماضي. تتضمّن التظاهرة التي ينظّمها «المعهد العمومي للموسيقى» عرضاً بعنوان **شباب تونس يغنّي فلسطين** الذي يؤدّي خلاله طلبة المعهد أغاني وطنية وتراثية.

ضمن فعاليات النسخة السابعة والعشرين من تظاهرة **زمن الكاتب** التي تنظّمها «جامعة كوازولو-نا تال» بمدينة ديربان الجنوب افريقية، تقام عند الواحدة من ظهر غدٍ الخميس امسية رقمية بعنوان **هذه غزّة**. تتضمّن الامسية التي تعقد بالتعاون مع منظّمة «العمل للامل» بيروت عرض قراءات لنصوص ادبية كتبها ادباء من غزّة تحت القصف الصهيوني، بإداء كتّاب وفنانين عرب.

تقام عند السابعة والنصف من مساء السبت المقبل في فضاء «سيفيك هاوس» بمدينة غلاسكو الاسكتلندية فعالية بعنوان **اسلحة النقد والوعي المكرّس** ضمن زاوية «نحو التحرير» في **مهرجان غلاسكو للفيلم القصير**. تُخصص الفعالية لعرض مجموعة من الافلام الفلسطينية القصيرة تحت عنوان «اسلحة النقد والوعي المكرّس».

يعقد «نادي المجلس للكتاب» في «متحف الفن الإسلامي» بالدوحة، عند الثامنة من مساء الاربعاء المقبل، قراءة في كتاب **بغداد: قُرّةُ العين**، تقدّمها مديرة «متحف لوسيل» **جوليا غونيلا**. شاركت غونيلا في تاليف الكتاب مع باحثين آخرين بالتزامن مع معرض اقيم بالعنوان ذاته، ويضيء على تراث المدينة العبّاسي.